



لغويّ نابغة من مدينة لاهور

الحسن بن محمد بن الحسن الصغاني

(٥٧٧-٦٥٠هـ)

سيّد رضوان علي الندوي

اسمه الكامل رضي الدين أبو الفضائل حسن بن محمد بن حسن بن حيدر بن علي القرشي العدويّ العمريّ الصغاني، ولد ونشأ في مدينة لاهور (لوهور قديما) بمقاطعة البنجاب في الباكستان، ومن ثم فيكتب مع اسمه اللاهوري أو اللهوري أيضا، وترعرع في غزنة بأفغانستان. وأما العَدَوِيّ فنسبة إلى عديّ بن كعب القبيلة العربية القرشية، والعمريّ نسبة إلى سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فهو ينحدر من نسله وكان يفتخر بهذا النسب.

وأما الصغاني فهي شهرته، وتعود هذه النسبة إلى صغانيان، وهي ولاية ومدينة شهيرة في بلاد ماوراء النهر، كما قال الصغاني نفسه^(١). والخلاف يدور قديما وحديثا حول كتابة هذه النسبة، فمن

المؤلفين من يثبت مع اسمه نسبة الصغاني هكذا، ومنهم من يكتبها الصاغاني، ومنهم من كتب الصورتين معا^(٢). والصواب فيها في رأينا "الصغاني" لأنه هو نفسه كان يكتبها دائما هكذا (بدون الألف بعد الصاد) في عشرات من كتبه^(٣) بل في عشرات المواضيع في ثنايا كتبه الكبيرة، مثل العباب الزاخر واللباب الفاخر، وكتاب التكملة والذيل والصلة، تحت مختلف المواد اللغوية.

وكان من عادة الصغاني أن يكتب اسمه الكامل (الحسن بن محمد بن الحسن الصغاني) في أول كل كتاب، ويردد جملة قال الصغاني مؤلف هذا الكتاب، في الأماكن الكثيرة داخل كتبه الكبيرة، وهو بذلك حافظ على مؤلفاته من أن ينتحلها شخص آخر لنفسه، كما أفادنا في صورة الكتابة الصحيحة لنسبته، ولقد تبعت ذلك في بعض مجلدات مُعْجَمِيهِ الكبيرين العباب الزاخر (مجلد حرف الفأ) والمجلدات الأربعة الأولى لكتاب "التكملة والذيل والصلة" فوجدت أنه استعمل رسم "الصغاني" في الأول الذكر عشر مرات^(٤) بالإضافة إلى نهاية المجلد الرابع عشر (وسط المجلد المطبوع الآنف الذكر) وآخر هذا المجلد المطبوع. وفي مجلدات "التكملة والذيل والصلة"^(٥) الأربعة الأولى ورد رسم الصغاني هذا خمسا وعشرين مرة علاوة على ما في أول الكتاب وآخره. :

وقد يقول قائل أنه في قصيدته النونية في شكوى الدهر

استعمل نسبة الصاغاني (بالألف) أيضا: والبيت هو:

فقلت يا دهر سالمني مسالمة فإني عمري ثم صاغاني^(٦)

وردنا عليه أنه لجأ إلى ذلك لضرورة القافية أوطاني، وأنساني...، ونظرا لما أجازته الجغرافيون واللغويون من نسبة الصغاني والصاغاني إلى صغانيين فإن الصيغة التي اختارها المترجم له لنسبته هي الصغاني كما يتأكد من استعماله عشرات المرات في كتبه العديدة. والحقيقة أن الذي أشاع النسبة الخاطئة تلميذه المحدث المصري شرف الدين عبدالمؤمن الدمياطي، فقد كتب ترجمة أستاذه في "معجم الشيوخ" وقال فيها "الصغاني، الصاغاني معا"^(٧) وبعد ذلك نقل منه تلميذه شيخ الإسلام الذهبي نسبة الصاغاني "هذه، فيما كتبه من ترجمة مؤلفنا في مختلف مؤلفاته. ومنه نقل من نقل هذا الرسم، مع أن الدمياطي نفسه في ترجمته لشيخه استعمل صيغة الصغاني "دائما (سبع مرات). وخطأ آخر أشاعه هو أن "كان أصله من صاغان، وهي كورة من بلاد السند أحد جنان الدنيا الأربع وهي بالفارسية جاغان فعربت فقيل صاغان وصغان أيضا"^(٨).

ولادته ونشأته ودراسته:

ولد الصغاني في لاهور يوم الخميس عاشر صفر سنة ٥٧٧هـ^(٩) في بيت علم وفضل، فقد تحدّث الصغاني عن والده وتضلعه في اللغة العربية ونبوغه فيها، في إشارات موجزة عند الكلام على مادة (بيض) و (حصر) في العباب. وأغلب الظن أنه ورث حب اللغة العربية كلغة وأدب من والده ولكننا لا نعرف عن أسرته ووالده أي شيء آخر. ولعل أحد أجداده قد أتى إلى مدينة لاهور في أعقاب فتحها على يد

السلطان مثل عدد من العلماء والصلحاء الذين أتوا إليها من بلاد ماوراء النهر، ومدن أفغانستان، فإنها كانت قد أصبحت العاصمة الثانية للدولة الغزنوية منذ أواخر القرن الخامس الهجري، والعاصمة الأولى لها بعد استيلاء الغوريين على غزنة في القرن السادس للهجرة. ثم تمت سيطرة الغوريين على مناطق الغزنويين في البنجاب (الهند) وفتحت لاهور في سنة ٥٨٧هـ / ١١٩١م.

والظاهر أن والد الصغاني، انتقل قبيل ذلك إلى غزنة، فرحل معه أو بعده الصغاني، وهو طفل صغير، إليها وتحدث الصغاني نفسه عن رحلته إلى غزنة قائلاً: "بلدة مشهورة من بلاد العجم دخلتها بعد سنة ثمانين وخمس مئة وهي أنزه البلاد وأفسحها رقعة، وعمارتها مقدار فرسخ خربها التتر"^(١٠).

وتلقى تعليمه الأوّل على يد والده الذي كان كما وصفه الصغاني عالماً ضليعاً في العربية، وذلك بين سنتي ٥٨٣ و ٥٩٠هـ والذي غرس في نفسه حب علم اللغة حيث قال: "سمعت والدي ألبسه الله حلال رضوانه وأسكنه بحبوحة جنانه، في شهر سنة نيف وثمانين وخمس مئة، أكبر ظني أن ذلك كان بغزنة. ويقول: كنت أقرأ في صباي كتاب الحماسة لأبي تمام على شيخني بغزنة ففسر لي هذا البيت وأوّل قوله "بيض مفارقنا" مئتي تأويل"، فاستغربت ذلك حتى وجدت الكتاب الذي بينّ فيه هذه الوجوه ببغداد في حدود سنة أربعين وست مئة والحمد لله على نعمه"^(١١).

وقال في موضع آخر، "سألني والدي تغمده برحمته وأسكنه بجبوحه جنته قبل سنة تسعين وخمس مئة — وأنا إذ ذاك أسحب مطارف الشباب وفي رغد من العيش اللباب وهو يغرنى غرر الفوائد، ويرزقني درر الفرائد، وكان رحمه الله ريان من الفضائل طيان من الرذائل، عن معنى قولهم: قد أثر حصير الحصير في حصير الحصير" فلم أدر ما أقول" فقال: الحصير الأول: الباري، والثاني: السجن، والثالث: الجنب، والرابع: الملك" (١٢).

ومعنى ذلك أنه وصل إلى غزنة، وعمره نحو ست سنوات (١٣)، ويظهر من النص المؤخر الذَّكْرُ أَنَّ والده توفي في حدود سنة ٥٩٠هـ إذ أنه لا يذكره بعد ذلك. ومعناه أن والده توفي وعمره نحو ١٣ سنة. ولا نعرف عن دراسته وأساتذته بغزنة أي شيء ولكن يتضح من إشارة للكفوي "وحصل ووصل وكمل بها" (١٤). أنه بقي يستفيد من علماء غزنة بعد وفاة أبيه، وأخذ حظا وافرا من العلم فيها. وإن كانت جملة الكفوي هذه فيها مبالغة صريحة. إذ أننا نعرف من ترجمته المذكورة في مختلف المصادر القديمة أنه بعد ذلك درس في الهند، واليمن ومكة المكرمة، والعراق، حتى كمل. وكانت دراساته هناك تركز على الفقه الحنفي (١٥)، والذي درسه في الهند، والحديث النبوي وعلم اللغة في البلاد العربية المذكورة.

رحلاته وسياحاته:

في حياة الصغاني نقاط كثيرة غامضة، ومن المؤسف أنه لم يكتب ترجمة ذاتية له كما لم يسجل أي من تلامذته في بغداد

واليمن والهند التفاصيل الوافية عن سيرته. وكل ما نملك نتف من جوانب حياته ومؤلفاته ذكرها تلميذه شرف الدين الديماطي المحدث المصري أو ابن القوطي البغدادي. وهذه التراجم لا تسعنا في معرفة التفاصيل عن رحلاته. ولكن المؤكد أنه كان كثير الرحلات. ومن ثم قال المؤرخ اليمني ابن أبي مخرمة أنه "كان جواباً للبلاد" (١٦).

ومن حسن حظنا أن الصغاني في معاجمه اللغوية الكبيرة ذكر عند شرح معاني بعض الكلمات التواريخ لوجوده في هذه البلدة أو تلك، ونحاول أن نرتب من هذه البيانات المثورة المقتضية رحلاته وسياحاته حسب التسلسل الزمني بقدر الإمكان، إضافة إلى ما مرّ من ذهابه إلى غزنة في طفولته وإفادته من والده. وبيانات الصغاني الموثوقة هنا وهناك في معجميه الكبيرين، تصور لنا بعض أماكن رحلاته، بعضها بذكر السنوات وبعضها بدونها. فإذا كانت هذه البيانات في شرح مواد لغوية كانت متعة علمية للغوي المعجمي فإنها في الوقت نفسه زاد مهمّ ومفيد لمن يريد أن يكتب سيرة حياته. ومن المؤسف أن لم يفد من بياناته تلك الباحثون في حياته، والمحققون لمؤلفاته تمام الإفادة، وهم والحمد لله كثيرون في باكستان وبعض البلاد العربية وبخاصة العراق.

ورحلات الصغاني نوعان: علمية اختيارية، وأخرى وظيفية رسمية اضطرارية. ونلاحظ أن رحلاته من النوع الأول كانت أكثر من النوع الثاني، وحتى هذه الأخيرة استغلها الصغاني للإفادة العلمية.

وملاحظتنا الثانية أن البيانات المذكورة عن هذه الرحلات بقلمه هو تصحّح كثيرا من المعلومات الخاطئة التي وردت في بعض المؤلفات القديمة والحديثة عن رحلاته ونشاطاته. ولكننا مع ذلك نعتزف أنه تبقى ثغرات كثيرة في تحديد وتسلسل بعض هذه الرحلات.

قد رأينا فيما سبق وجود الصغاني بغزنة في حدود سنة ٥٩٠ هـ عند الكلام على التعلم من والده. ولا نراه بعد ذلك يحدث عن نفسه في أي مكان إلا وجوده في مكة المكرمة سنة ٦٠٥ هـ. فهذه السنوات الخمس عشرة أين قضاها؟ و مترجموه كلهم يذكرون أنه درس في الهند. ولا شك أنه قضى هذه السنوات في غزنة والهند. ولعله غادر غزنة إلى الهند في سنة ٥٩٥ هـ، وبقي فيها نحو عشر سنوات قبل أن يسافر إلى الحجاز. ونستأنس في ذلك من بيان مرتضى الزبيدي الذي ذكر ذهابه إلى بغداد في سنة ٥٩٥ هـ^(١٧). ولعل بغداد هنا سهو منه أو هو من أخطاء بعض النساخ والمقصود الهند^(١٨).

ومهما كان الأمر فإن الصغاني فيما يبدو قضى فترة، نحو عشر سنين في الهند يدرس فيها على علمائها بدلهي (دلهي حسب النطق الإنجليزي) وغيرها، الفقه والحديث،^(١٩) كما قام بتدريس أحد أبناء والي مدينة كول^(٢٠) (على كره الحالية). ولكن الغريب جدا أن الصغاني على الرغم من قوله: "إني شرقت وغربت في الهند والسند نيفا وأربعين سنة"^(٢١) فإنه لا يحدثنا عن دراساته وأعماله

فيها شيئا إلا قضية سفارته من قبل بغداد إلى بلاط دهلي، والتي سنتحدث عنها فيما بعد.

ولقد سافر الصغاني من الهند إلى الحجاز عن طريق البحر، ووصل إلى مكة المكرمة في سنة ٦٠٥ هـ^(٢٢). وتحدث عن كونه فيها هذه السنة وسماع سنن أبي داؤد فيها. وفي طريقه إلى مكة المكرمة مرّ على مرسى كنيصة ومرسى مراك^(٢٣) في البحر الأحمر، وكذلك جزيرة فرسان^(٢٤).

ويبدو أنه بعد أداء فريضة الحج بقي في مكة المكرمة يدرس على علمائها ويتجول في بادية الحجاز لأخذ اللغة الفصيحة من أهلها، وغريب اللغة الذي يجري على ألسنة فصحاء الأعراب. ويصرح الصغاني أنه في نفس السنة (٦٠٥ هـ) ذهب إلى المدينة المنورة، حيث قاس قطر بئر بضاعة بعمامته، ووجده كما هو مذكور في حديث بئر بضاعة في سنن أبي داؤد، ونقل هنا نص كلامه نظرا إلى أهميته قال في معرض الكلام على هذا الحديث:

"وقد سمعت هذا الحديث بمكة حرسها الله تعالى وقت سماعي سنن أبي داؤد. فلما شرفت بزيارة النبي صلى الله عليه وسلم في سنة ستمائة وخمس دخلت^(٢٥) البستان الذي فيه بئر بضاعة، وقدرت رأس البئر بعمامتي فكان كما قال أبو داؤد."

وبعد قضاء نحو سنة في الحجاز اتجه الصغاني إلى اليمن عن طريق البحر أيضا ووصل إلى عدن في سنة ٦٠٦ هـ^(٢٦)، وجعلها مركزا له في اليمن يستفيد من علمائها ويفيدهم، ومنهم القاضي أبو إسحاق

إبراهيم بن أحمد بن عبدالله بن سالم القريظي، والفقير أبو عبدالله محمد بن أحمد بن محمد بن سليمان بن بطال المشهور ببطل، وابنه أبو الربيع سليمان ابن بطال وغيرهم^(٢٧).

وظل في عدن نحو سبع سنوات من سنة ٦٠٦هـ إلى سنة ٦١٣هـ. وأقام في مسجد ابن البصري بها. وكان يقوم بتدريس الحديث واللغة فيها، وخاصة كتاب "معالم السنن" للخطابي "شرح سنن أبي داؤد" وكان معجبا بها^(٢٨)، كما درس بعض علماء اليمن مقامات الحريري عليه. وخلال إقامته بعدن قام برحلة إلى مدينة مقديشو عاصمة الصومال حاليا، على الساحل الإفريقي في شهر رمضان سنة ٦٠٩هـ. ووصف هذا الساحل الذي سماه بحر البربرة^(٢٩) كما ذكر سنور الزباد في مدينة مقديشو وصفا فريدا طريفا. والذي يؤخذ من فضله رائحة طيبة، واسم هذه الرائحة الزباد خلافاً لما اعتقده البعض أن هذا الحيوان هو الزباد^(٣٠).

وبعد رحلة قصيرة عبّر البحر إلى مقديشو عاد الصغاني إلى عدن، وظل بها إلى سنة ٦١٣هـ. وفي هذه السنة نراه يسافر إلى مكة المكرمة حيث يلتقي به فيها الأديب الجغرافي الشهير ياقوت الحموي الرومي في سنة ٦١٣هـ^(٣١) ويذكر بعض مؤلفاته. وإقامته الطويلة في مكة المكرمة، وتردده إليها بدأ يكتب مع اسمه "الملتجئ إلى حرم الله".

ويظهر أنه أقام هذه المرة نحو سنتين في مكة المكرمة، ثم سافر في أول سنة ٦١٥هـ إلى بغداد لأول مرة، كما صرح بذلك

نفسه في كتابه "العباب الزاخر". "قدمت بغداد سنة ستمائة وخمسة عشرة وهي أول قدمة قدمتها"^(٣٢). وزار فور وصوله إليها قبر الصوفي الشهير معروف الكرخي، وتحدث عن تجربته في قبول الدعاء عنده^(٣٣). وهذا يدل على اتجاهه الصوفي، وسوف نتكلم عنه فيما بعد. وأخذ الحديث في بغداد عن علمائها ومنهم سعيد بن الرزاذ وغيره، كما بدأ يفيد علماءها وبخاصة في علم اللغة والفقہ الحنفي. وكان قبل مجيئه إليها ألف بعض الكتب في النحو والصرف والشعر والفقہ كما ذكره ياقوت^(٣٤). وسرعان ما علا صيته بها واشتهر أمره. وبعد سنتين من مجيئه إلى بغداد طلبه الخليفة العباسي الناصر لدين الله وخلع عليه، وكلفه بالذهاب في السفارة إلى الهند لدى بلاط السلطان شمس الدين ايلتمش في سنة ٦١٧هـ فوصل إليها في نفس السنة^(٣٥). ولا نعرف عن تفاصيل هذه السفارة شيئا، كما لا تذكرها تواريخ الهند مطلقا. ولكن الصغاني نفسه قد أشار إليها.

ويبدو أنه بقي في الهند نحو سبع سنوات، إذ لا نسمع عنه إلا في سنة ٦٢٤هـ^(٣٦) عند ما يعود إلى بغداد بناء على طلب الخليفة العباسي الجديد، المستنصر بالله، والذي أرسله مرة أخرى سفيراً إلى الهند في رجب من نفس السنة (٦٢٤هـ)، في بعثة رسمية يحمل المرسوم من الخليفة والخلع. وقد سافر هذه المرة عن طريق الخليج العربي كما لمح إليه الصغاني نفسه في ذكر بعض جزرها، التي زارها وتوقف فيها لبعض الفترة، وهي خارك، وصحر، وعبادان والقصير^(٣٧).

ووصل إلى مدينة ناكور (قرب اجمير) في طريقه إلى دهلي (دهلي) في شهر رمضان سنة ٦٢٥هـ (٣٨)، ثم وصل إلى دهلي في ٢٢ من ربيع الأول سنة ٦٢٦هـ (٣٩). وكانت هذه العاصمة الإسلامية في الهند قد استعدت لاستقبال رسل الخلافة وأقيمت الزينات فيها. وقد استقبل السلطان شمس الدين ايلتمش، الصغاني ورفقائه في البعثة بحفاوة بالغة، ولبس خلعة الخليفة العباسي، وكذلك وزراؤه وبعض قواده وقرئ مرسوم الخلافة في هذا الحفل البهيج وكان يوما مشهودا في تاريخ الهند منذ قيام الدولة الإسلامية المستقلة فيها في سنة ٦٠٢هـ. وألقى بهذه المناسبة شاعر بلاط دهلي تاج الدين ريزه، قصيدة باللغة الفارسية، وأولها:

مزده عالم را زعالم آخريں آورده اند

زان كه شه را از خليفه آقريں آورده اند

ناصر اسلام مستنصر كه طوق طاعتش

ز اسمان در كردن أهل زمين آورده اند (٤٠)

الحقيقة أنها كانت أول اعتراف رسمي للدولة الإسلام المستقلة في الهند من قبل الخلافة العباسية ببغداد، رمز السلطان المركزي الإسلامي في العالم.

وبقي الصغاني في الهند نحو سبع سنين مرة أخرى، أما أعضاء وفد السفارة الآخرون فالظاهر أنهم غادروا الهند في نفس السنة. ولا نعرف شيئا عن أعماله ونشاطاته في الهند في هذه الفترة الطويلة مرة ثانية. ولا يصح ما يقوله كثير من المؤرخين أنه ظل في

الهند حتى سنة ٦٣٧هـ حيث عاد إلى بغداد في تلك السنة نهائياً^(٤١). وذلك لأنه يقول في خاتمة كتابه "التكملة والذيل والصلة"، المطبوع بمصر، الجزء السادس: "وقد يسر الله تعالى الفراغ، من تأليفه صحيحة يوم الجمعة وقت فتح الباب لبيت الله الحرام، العاشر من صفر سنة خمس وثلاثين وستمائة".

فيؤكد من هذا البيان الصريح الدقيق أنه غادر الهند قبل سنة ٦٣٧هـ بستين أو أكثر، ونعتقد أنه غادرها بعد وفاة السلطان شمس الدين ايلتمش في سنة ٦٣٣هـ، في عهد خلفه السلطان ركن الدين، اللاهي العايب، أو بعد ذلك بسنة في عهد السلطانة رضية بنت ايلتمش للظروف السياسية المضطربة التي سادت في العاصمة دهلي، أو لحكم امرأة، ولا يصح توليها الحكم في الإسلام. وعلاوة على ذلك فإنه كان أرسل سفيراً إلى بلاط السلطان شمس الدين ايلتمش، وبعد وفاته لزم أن يجدد الخليفة العباسي في بغداد سفارته إلى السلطان أو السلطانة الجديدة.

ومهما كان الأمر فإنه غادر الهند قبل سنة ٦٣٥هـ بمدة، حيث تمكن من استكمال معجمه الكبير الأول "التكملة والذيل والصلة" بمكة المكرمة، وقد يكون بدأ تأليفه في الهند وأكماله بمكة، إذ كان يدرس الصحاح في الهند، ويزيد عليها هوامش وإضافات.

ومن الثابت أنه لم يعد إلى بغداد إلا في سنة ٦٣٧هـ، فأين قضى هاتين السنتين؟ والظاهر أنه قضاها في اليمن ومكة. فقد ورد

في بعض المصادر أنه كتب إلى صديقه وتلميذه القديم سليمان بن بطلال أن يقابله في عدن فإنه "يحمل عشرة أحمال ورق وورق" (٤٧). فلعله أتى في عودته من الهند عن طريق البحر إلى عدن في حدود سنة ٦٢٤هـ، يحمل المال والكتب التي جمعها في الهند. وبالفعل أتاه إليه تلميذه السابق، وبقي معه مدة يسيرة ثم اضطر إلى مغادرة عدن إلى تعز، بلدة ابن بطلال في صحبته، لحادث جرى لهذا الأخير في عدن، وذلك في بضع وثلاثين وستمائة (٤٨).

ولعله ترك كتبه وبعض ماله عند صديقه وتلميذه ابن بطلال، ثم ذهب إلى مكة وعاد منها إلى اليمن ثانية، إذ إنه يذكر وجوده في بلدة كدراء باليمن في سنة ٦٣٧هـ، ثم يغادر في نفس السنة إلى بغداد إذ تتفق جميع المصادر على أنه وصل إلى بغداد في سنة ٦٣٧هـ، ألقى فيها عصا التسيار، واستقر بها بعد طول التغرب والأسفار في الهند واليمن والحجاز. وظلّ بعد ذلك في بغداد حتى وفاته في سنة ٦٥٠هـ (٤٩).

وبقي أن نعرف عن نشاطه في الهند في السنوات الطويلة التي قضاها فيها "وشرق فيها وغرب" (٥٠) حسب قوله. ومع الأسف أنه لم يحدثنا عن ذلك شيئاً، ولا المصادر المحلية والعربية ألفت أضواء عليه إلا لمحات في بعض كتب التصوف، أو ما أشار إليه هو عند الكلام على لفظة غريبة في بعض معاجمه.

فمنها ما جاء في كتاب "فوائد الفؤاد" (٥٦) (بالفارسية) لمؤلفه الأمير حسن السجزي (٧٦٥هـ) على لسان مرشده الروحي

الصوفي العظيم نظام الدين البديوني، "أنه تولى منصب نائب المشرف في مدينة كول^(٤٧) (على كره الحالية)"، وكان ذلك قبل رحلته إلى بغداد. وقد أشرنا إليه فيما سبق من الكلام، وقد يكون صحيحا. ولكن المعلومات الواردة الأخرى في هذا الكتاب عن الصغاني فيها تخليط وأوهام؛ وبخاصة قوله بأن كان من مدينة بداون أو بديون في الإقليم الشمالي بالهند^(٤٨). فإنه غلط محض، ولم يقل به أي واحد غيره. وليس هنا مجال دحض أقواله الأخرى، ولعلنا نقوم بذلك في كتاب عن الإمام الصغاني.

ومنها ما جاء في كتاب آخر من هذا القبيل، وهو "سرور الصدور" (بالفارسية أيضا) لمؤلفه فريد الدين الناكوري بأنه "جاء إلى بلدة ناكور، وقرأ كتابه "مصباح الدجى"^(٤٩) في الحديث في مجلس حضره القاضي حميد الدين الناكوري والقاضي كمال الدين وغيرهما من المشائخ والعلماء والأمراء وحصلوا على إجازة منه لروايته"^(٥٠). كما أخبرنا المؤلف نفسه في حكاية طريفة عن تصوف الصغاني "أنه قد سافر إلى بلاد الكفار، جالور وكجرات^(٥١) وعلم فيها أحد الذين لزمه لتعلم التصوف، التصوف العملي من الصلاة وغير ذلك من العبادات، قائلا له بأن التصوف عمل، وليس بأقوال وكرامات وكشوف"^(٥٢).

ولم يذكر لنا مؤلف "سرور الصدور" سنوات رحلات الصغاني تلك إلى ناكور، وجالور وكجرات من مدن الهند في وسط الهند، وجنوب غربها. ولكننا نعتقد أنها ربما كانت في مقدمه الأول

من بغداد إلى الهند بين سنتي ٦١٧هـ و٦٢٤هـ، إذ أنه لا ذكر فيه لكتابه المشهور العظيم في الحديث "مشارق الأنوار" الذي ألفه للمستنصر الخليفة العباسي، وأنه في سفارته الثانية إلى الهند في سنة ٦٢٤هـ قد اختار طريق كجرات، وناكور إلى دهلي، وقد عرفها سابقا.

وأما قوله: "إني شرقت وغربت في الهند والسند نيفا وأربعين سنة" المذكور قبل قليل، فيصح إذا حسبنا المدة من ولادته بلاهور إلى مغادرته الهند في سنة ٦٠٥هـ إلى الحجاز، ثم مجيئه في السفارة مرتين إلى الهند، وبقاؤه فيها كل مرة نحو سبع سنوات، فتصير كل هذه المدة نحو ٤٢ سنة.

وحيث أنه قضى معظم سني حياته في الرحلات والسياسة، ففي ذكر سنواتها في مختلف المصادر والمراجع الحديثة اضطراب كثير، وقد حاولنا جهدنا أن نذكرها بشيء من التفصيل، ونرتبها ترتيبا زمنيا معقولا مستدين إلى أقوال الصغاني نفسه وإلى المصادر القريبة من عهده. ونرجو أن نكون قد وقفنا في ذلك إلى ما هو أقرب إلى الصحة، وإن كنا لم نطمئن بعد في بعض تواريخ هذه الرحلات.

مكائنة العلمية وآثاره اللغوية:

كان الإمام الصغاني أحد العباقرة الأفاضل في علم اللغة، وحق لشبه القارة الهندية العربية بعامة ولباكرستان ومدينة لاهور بخاصة أن تفتخر وتعتر به. وهو في معرفة اللغة العربية ودقائقها وغريبها في مستوى خليل بن أحمد الفراهيدي، وابن دريد، والجوهري، وابن

فارس والزنجانى وغيرهم من أعلام اللغويين النوابغ. وتشهد بذلك مؤلفاته ومعاجمه اللغوية الضخمة العديدة، ورسائله الفريدة الكثيرة، وقد قربه بعلمه ونبوغه الخليفة العباسى الناصر لدين الله ثم المستنصر بالله، وأوفداه سفيرا إلى السلطان شمس الدين ايلتخش فى الهند، كما أكرمه الخليفة العباسى الأخير المستعصم ووزيره مؤيد الدين العلقمى.

وقد اشتهر الصغانى فى عصره فى الحجاز واليمن والهند، والعراق، ثم طبقت شهرته الآفاق حتى يومنا هذا كلغوى ومحدث. وبالإضافة إلى علم اللغة كان ضليعا فى الحديث والفقہ حتى قال عنه تلميذه العالم المحدث الشهير شرف الدين عبدالمؤمن بن خلف الديقاطى: "كان شيخا صالحا صدوقا صموتا عن فضول الكلام، إماما فى اللغة والفقہ والحديث" (٥٣).

أما اللغة فكما قال الذهبى: "كان إليه المنتهى فى معرفة علم اللغة" (٥٤).

وآثاره العلمية من المعاجم الكبرى، وكتبه اللغوية والنحوية والأدبية الكثيرة تشهد بذلك. ولقد اشتهر الصغانى فى الهند فى عصره وبعد ذلك لعدة قرون كمحدث نابغة، لكتابه "مشارق الأنوار" فى الحديث النبوى، والذى ظل نحو قرنين ونصف قرن الكتاب الوحيد المعروف فى الهند عن الحديث (٥٥)، يدرسها كبار العلماء والمشائخ الصوفية (٥٦). ولكن بحيث أن موضوعنا اللغة والأدب فسوف نقتصر كلامنا على كتبه اللغوية والأدبية.

يلغ عدد مؤلفاته نحو ستة وأربعين كتابا منها اثنان وعشرون كتابا^(٥٧) في اللغة، وهي كالاتي:

أولا - المعاجم الكبرى:

- ١- "كتاب التكملة والذيل والصلة، لكتاب تاج اللغة وصحاح الجوهري": ٦ أجزاء، مطبوع.
- ٢- "مجمع البحرين في اللغة": ١٢ مجلدا "جمع فيه صحاح الجوهري وكتابه التكملة والذيل والصلة".
- ٣- "العباب الزاخر واللباب الفاخر": ٢٠ مجلدا، طبع منه أربع مجلدات في العراق، حرف الهمزة، حرف الطاء، حرف الغين، حرف الفاء والباقي تحت الطبع في الجامعة الإسلامية بإسلام آباد.

ثانيا: الكتب الصغيرة:

- ٤- "الشوارد في اللغة": نشر بتحقيق الدوري في بغداد، وتحقيق مصطفى حجازي في القاهرة في سنة واحدة ١٩٨٣ م.
- ٥- "كتاب الأضداد": طبع بتحقيق هيفنر ١٩١٣ م بيروت.
- ٦- "كتاب يفعال": طبع بتحقيق حسن حسني عبدالوهاب بتونس سنة ١٩٣٥ م، وبعده بتحقيق الدكتور إبراهيم السمرائي في البصرة.
- ٧- طبع بتحقيق الدكتور عزت حسن بعنوان: "ما بنته العرب على فعال"، دمشق، ١٩٦٤ م.

- ٨- "كتاب الانفعال": طبع بتحقيق الدكتور أحمد خان،
إسلام آباد باكستان، ١٩٧٧م.
- ٩- "كتاب فعلان على وزن شآن" (٥٨).
- ١٠- "كتاب فعلان على وزن سيان" (٥٩).
- ١١- "كتاب في أسماء الذئب": طبع في القاهرة سنة ١٩١٣م
وفي استنبول، سنة ١٣٣٠هـ.
- ١٢- "كتاب في أسماء الحية": وهذه الثلاثة عبارة من ورقات
- ١٣- "كتاب في أسماء الخمر": من مصورة من مخطوطاتها في
- ١٤- "كتاب في أسماء الرياح": استنبول وهي توجد في مكتبة
مجمع البحوث الإسلامية،
ياسلام آباد.
- ١٥- "كتاب في أسماء العادة في أسماء الغادة": نشره الدكتور
أحمد خان في مجلة المورد، بغداد.
- ١٦- "كتاب في أسماء الأسد": مخطوط في الخزانة التيمورية
بدار الكتاب المصرية، القاهرة.
- ١٧- "كتاب في التصريف".
- ١٨- "كتاب في التراكيب": وهو مخطوط واسمه في مجموعة
بودلين رقم Arab. D ١٠٧ لغة العرب.
- ١٩- "شرح أبيات المفصل للزمخشري".
- ٢٠- "المرتجل في شرح القلادة السمطية في توشيح الدرديدية":
وطبع بتحقيق الدكتور أحمد خان، مكة المكرمة، ١٩٨٩م.

٢١- "تعزير بيتي الحريري"، أو "كتاب تكلمة العزيزي":

نشره أحمد خان في مجلة مجمع اللغة العربية، دمشق،

١٩٧٩م.

٢٢- "كتاب العروض": حققه وبعثه للنشر الدكتور أحمد خان^(٦٠).

فهذه اثنان وعشرون مؤلفاً للصغاني بين الصغير والكبير، وقد طبع منها أحد عشر كتاباً، وأربع مجلدات من معجمه الضخم،

العباب الزاخر واللباب الفاخر. والكتابان، المرتجل في شرح القلادة السمطية في توشيح الدريدية، وتعزير بيتي الحريري منظومان.

والكتاب الأول معروف في ترجمة الصغاني في عدد من المصادر باسم شرح القلادة السمطية. ووجد الاسم المنشور في مخطوط

بأكسفورد. وكان الصغاني بجانب نبوغه في اللغة وانصرافه إلى

غريبها وتأليفه فيها، شاعراً قديراً؛ ولقريحتة الوقادة، ينظم الشعر

العربي الرصين وشعره في الغالب - وبخاصة في شرح القلادة

السمطية من نمط الشعراء اللغويين أمثال ابن دريد فيه مادة كبيرة من

غريب اللغة، فهو تعبير عن المهارة اللغوية أكثر من خيال فياض

وعاطفة جياشة، وفيه بعض الحكيم، وكذلك شعره في صناعة

المعكوس في "تعزير بيتي الحريري". وأما قصيدته الطويلة عن

شكوى الدهر ذات التسع والخمسين بيتاً، فهي كلها في قوافيها في

صناعة "الجناس". ولكن ميزة هذه القصيدة أنه تحدث فيها عن بعض

جوانب حياته الشخصية، ومطلعه:

أنساني الدهر أعطاني وأوطاني

وحطني ووهاد الخسف أوطاني^(٦١)

وكنت أفنيت عمري في رفاهية

فعضني ولذيد العيش أنساني

وكان قدمني قدرا وأكرمني

فالآن أخّرني غدرا وأنساني^(٦٢)

إلى أن قال:

ولي ببغداد دار العزّ دام بها

ظل الإمام الرضّي المستنصر، ابنان

وها أنا الآن كرها لامطواعية

بالهند والسند ذو عدن وابنان

وكنت أسير في الآفاق من مثل

ففرق الدهر أفراسي وأرساني

وكان لي وصل عند الملوك معا

حتى تقضب أفراسي وأرساني

ومنها:

أمرّ عيشي ما قاسيت في سفري

من بعد ما كان حلاه وحلّاني

معصّلا جسمي الموهون منتفيا

من بعد ما كان حلاه وحلّاني

وأنهى هذه القصيدة الطريفة القرية قائلا:

فقلت يادهر سالمني مسالمة

فإبنى عمري ثم صاغانني

فانصاع ينقاد إذعانا وسالمني

ومدّ ضبعي وناغانني وصاغانني

فصار شكراي شكر والجوى فرحا

والعتب عتبي وقاداني وناجانني

وذاك للصفح مني عن جنايته

والصفح يُجدي إن جنى جان^(٦٣)

وكانه بهذه القصيدة قضى دين والده الذي سأله في صغره

بغزنة عن معنى جملة "قد أثر حصير الحصير في حصير الحصير" فلم

يدر كيف يفسرها فشرحها والده قائلا: "الحصير الأول: الباري،

والثاني: السجن، والثالث: العنب، والرابع: الملك".

وكان ذلك من تأثير "مقامات" الحريري على المثقفين في

ذلك العصر، وقد سيطر هذا الاتجاه على الصغاني أيضا، فحفظ

غريب أبي عبيد القاسم بن سلام، ونصح بحفظه، إذ أنه أورثه ألف

دينار، وكذلك الذين حفظوه بنصيحة منه كما حكاها عنه ياقوت^(٦٤).

وجريا على هذا حشا تخميسه لمقصورة ابن دريد بالكثير من الغريب

الحوشي، حتى اضطر أن يشرحه بنفسه. ويجب أن لا ننسى أن درس

عليه بعض علماء اليمن مقامات الحريري.

ولكن بجانب هذا الشعر الثقيل "البهلواتي"، كان له شعر

سلس مرسل، ومنها قوله:

ياراحم الطفل الرضيع المزعج

يا فاتح الباب المنيع المرتج

إن كان غيري مُبلِسا مستيقسا

فأنا الفقير المستكين المرتجي^(٦٥)

وحتى هذه الأبيات الخمسة الدعائية، قد غلب في قرضها حب صنعة الجنس على الصغاني، في إيراد لفظة المرتج والمرتجي في معان مختلفة.

وكان الصغاني رضي الخلق، جميل العشرة محبا لتلاميذه وصحبه، عكروفا على العبادة والعلم، قوي الصلة مع الله، قنوعا زاهدا في زخرف الدنيا، مترفعا عن الدنيا. ووصف نفسه في شعر مشهور عنه.

تسربلت سربال القناعة والرضا

صيبا وكانا في الكهولة ديدني

وقد كان ينهاني أبي حُفَّ بالرضا

وبالعفو أن أولي يدا من يدي دني^(٦٦)

ويقول الدمياطي، أنشدنا الصغاني لنفسه:

إذا احتبيت تجاه الركن بالحدق

في أفاضل الناس من شامٍ ومن يَمَنِ

ذووا محابر أعداد النجم ومن

قد أثر السفر المضني على الوطن

أظل أنشدكم شعري وأخبرهم

بما سمعت من الآثار والسنن

موثقا عدل أهلها وأجرح من

تكلموا في ماض من الزمن

أروى الأحاديث عن ثبت أخي ثقة

أقول: حدثني شيخي وأخبرني

وأشبع القول في إيضاح مشكلها

وحل معضلها جريا على السنن

حطت على جبهة الأيام خالدة .

تلك المكارم لا قضبان من لين^(١٧)

وهذا هو الشعر المرسل الخالي عن الصنعة والتكلف، وصور

فيه الصغاني حياته ونشاطه العلمي في الحرم الشريف بمكة في حلقاته

تحاه الركن اليماني، يحضرها أفاضل الطلبة من مختلف الأقطار،

فينشدكم شعره، ويسمعهم الحديث النبوي ويشرح لهم مشكله

..... إلخ.

ومن جيد شعره عن مكة المكرمة قوله:

يوم بمكة خير من مضي سنة بغير

ها تنقضي باللهو أو بسننه

فلا القلوب إلى الأهواء مائلة

ولا النفوس يكسب الإثم مرتتهنه

ولا الفقير مع الإملاق ذو جزع

ولا الغني يحامي الناس ما احتجته

ولا يمير على من لا طباخ له

أقل من لخطه^(٦٨) لا يقتني حسنه

ولا يؤمهم أو من يساكنهم

إلا القوي الذي جذ العلي رسنه^(٦٩)

وبعد حياة حافلة بالرحلات والسياحات، والنشاط العلمي، والعمل الدبلوماسي، انتقل الصغاني إلى رحمة الله في ليلة الجمعة التاسع عشر من شعبان سنة ٦٥٠هـ، وكان قد ختم قبل ذلك يومين بالتحديد الشيخ شرف الدين الدمياطي قراءة "شرح القلادة السمطية في توشيح الدرديدية" عليه في النسخة التي نقلها لنفسه من نسخة أستاذه. وأجاز الصغاني سماعه، وكتب الإجازة على صفحة العنوان كما يلاحظ على مخطوط بودلين بأكسفورد لهذا الكتاب.

وصرح بذلك الدمياطي قائلاً "وكنت آخر من قرأ عليه، قرأت عليه يوم الأربعاء، وتوفي ليلة الجمعة التاسع عشر من شعبان سنة ٦٥٠هـ. ودفن بداره في محلة "الحريم الطاهري"^(٧٠) (بالطاء المهملة) ثم نقل جثمانه إلى مكة المكرمة ليدفن بمقابر حنة المعلاة حسب وصيته. وكان قد رصد خمسين ديناراً لمن يحمل جثمانه بعد وفاته إليها.

وهكذا قبل دعاؤه في مقدمة "مشارك الأنوار" عند ذكر مكة المكرمة: "أماته بها حميدا فأقبره ثم إذا شاء أنشره".

هوامش

- ١- مجمع البحرين له مادة (صغن) ونقله ذلك الدكتور أحمد خان في مقدمة كتاب الانفعال للصغاني (إسلام آباد ١٩٧٧م)، الصفحة الأولى وتاج العروس للزيدي، ٢٥٩/٩.
- ٢- ومن هولاء السيد مرتضى الزبيدي في تاج العروس مادة (صغن) ج ٩ ص ٢٥٩، (القاهرة ١٣٠٧هـ)، وقرأ كلامه هناك بالتفصيل. والحقيقة أن إجاز اللغويون، والحضاريون وبعض علماء الأنساب كالسمعاني نسبة الصغاني والصاغاني لمن كان من صغانيين: إلا أن هناك قرية بمر (خراسان) باسم صاغان فنسبة "الصاغاني" ينبغي أن تكون إليها في حقيقة الأمر. وانظر الأنساب للسمعاني: ٥٠٨/٣: بيروت ١٩٨٨م.
- ٣- مثل "التكلمة والذيل والصلة" والهاب الزاخر، وكتاب الانفعال، ونقعة الصديان، ودر السحابة في بيان مواضع وفيات الصحابة، والشوارد في اللغة، والمرئجل في شرح القلادة السمطية، وأسماء الأسد، وأسماء الذئب والأضداد، وكتاب ما بنته العرب على فعال وكل هذه الكتب مضبوغة محققة.
- ٤- العباب (مجلد حرف الفاء) بتحقيق محمد حسن آل ياسين، بغداد ١٩٨١م، صفحات: ٤٢، ٤٥، ٢١١، ٢١٢، ٢١٥، ٢٤٢، ٢٩٨، ٣٠٢، ٣٣٩، ٤٢٣، وهذا المجلد مكتوب بخط يده.
- ٥- التكلمة والذيل والصلة بتحقيق عبدالمعطي الطحطاوي القاهرة ١٩٧٠م-١٩٧٤م، المجلد الأول، صفحات: ١٦٠، ٣١٠، ٣٣٩، ٤٣١، ٤٨٢، المجلد الثاني، صفحات: ١٠٦، ٢٤٠، ٣٤٦، ٤٣٢، ٤٣٦، المجلد الثالث، صفحات: ٥٤، ٧١، ١٣٠، ١٤٤، ١٩٣، ٣٠٥، ٣٢٦، ٤٢٢، ٤٢٣، المجلد الرابع، صفحات: ١١، ٨٩، ١٦١، ٢٩٧، ٢٩٨، ٤٨٥. كما وردت هذه الصيغة في نهاية الكتاب في الجزء السادس المطبوع ١٩٧٩م، وقد وردت مرة واحدة (١٣٩/٤) رسم الصاغاني "وقد يكون من خطأ الناسخ.

- ٦- الشوارد في اللغة للصغاني، مقدمة محققه عدنان الدوري، ص ٤٧.
- ٧- معجم الشيوخ للدمياطي، مخطوطة، مكتبة الدار القومية، تونس رقم ٩١١، ورقة ١٨١.
- ٨- المصدر نفسه (ورقة ١٨٢) وهذا الكلام مضطرب من الناحية الجغرافية، فصاغان ليست في بلاد السند (مقاطعة بياكستان) بل هي قرية بمرور، وصغانيان هي التي في بلاد الصفلا قارن مادة صغان وصغانيان في معجم البلدان لياقوت والأنساب للسمعاني صغاني وصاغاني.
- ٩- ولا يصح ماجاء في تاج العروس (٢٥٩/٩) أنه ولد في سنة ٥٥٥ هـ منسوباً إلى النهي ولم يقل النهي بذلك في كتبه بل قال سنة ٥٧٧ هـ انظر: سير أعلام النبلاء: ٢٨٣/٢٣ وكذلك تاريخ الإسلام، مخطوط آيا صوفيا ٢٠١٣ ج ٢٠، ورقة ١٠١، ودول الإسلام ١١٨ / ٢. فالمذكور في تاج العروس محرف. وكذلك لا يصلح التاريخ المذكور في نزهة الخواطر للشريف عبدالحى الحسيني أي سنة ٥٥٧ هـ (١٣٧/١)، ولعله سهو أو سق قلم فإن معظم الذين ترجموا له من العرب ومن أهل الهند وهم كثيرون يؤكدون أنه ولد في سنة ٥٧٧ هـ، وكذا ورد عند تلميذه الشيخ شرف الدين الدمياطي في كتابه المخطوط المذكور سابقاً.
- ١٠- التكملة والذيل والصلة، مادة (غزن) ج ٦، ص ٢٨٢.
- ١١- العباب الزاخر، مادة (بيض): نقله عدنان الدوري في الشوارد في اللغة، ص ٢٠.
- ١٢- المصدر نفسه مادة (حصر) نقلاً عن الشوارد في اللغة، ص ٢٠.
- ١٣- وعلى هذا لا يصح قول صاحب نزهة الخواطر: "أن عرض عليه قطب الدين أليك قضاء لاهور فلم يجه إلى ذلك وذهب إلى غزنة يدرس ويفيد نزهة الخواطر ١/١٠٥).
- ١٤- نقل عنه صاحب الفوائد البهية، ص ٦٣ (طبعة قديمي كتب خانة - كراتشي.
- ١٥- انظر عن أساتذته العقد الثمين للفاسي.
- ١٦- ابن أبي مخرمة تاريخ نجر عدن، ٥٤/٢، ونقله عدنان الدوري في مقدمته، للشوارد في اللغة للصغاني، ص ٢٣.

- ١٧- تاج العروس، مادة (صغن) ٢٥٩/٩، وهو ظاهر الخطأ كما يتأكد من بيان الصغاني نفسه الآتي فيما بعد وتصريح بعض معظم مترجميه القدامى والمعاصرين.
- ١٨- ومثل هذه الأخطاء كثيرة في تاج العروس، منها خطأ كون الصغاني في مكة المكرمة سنة ٢٠٥هـ في مادة (بضع) ج ٥ ص ٢٧٦.
- ١٩- أنظر عن أساتذتها في الهند معجم الشيوخ للديماطي المذكور سابقا، وكذلك سير أعلام النبلاء للنهبي ٢٨٣/٢٢، وإن كنا نشك في كون بعضهم في الهند.
- ٢٠- فوائد الفوائد للأمير حسن السجزي، (بالفارسية) ص ١٠٤، وهي مجالس مرشده الروحي الشيخ نظام الدين أولياء، تاج العروس للزبيدي مادة (دكنكص) ج ٤ ص ٣٩٥ نقلا عن عباب الصغاني.
- ٢١- العباب، مادة (بضع) وكذلك تاج العروس، نفس المادة ج ٥ ص ٢٧٦.
- ٢٢- العباب، مادة (كنس)، تاج العروس، ج ٤ ص ٢٣٥، ولم يذكره ياقوت في معجم البلدان.
- ٢٣- المصدر نفسه مادة (مرك) تاج العروس، ج ٧ ص ١٧٦، ولم يذكره ياقوت.
- ٢٤- المصدر نفسه مادة (فرس) وهي تحاه نجران، ومن ممتلكات المملكة العربية السعودية حاليا.
- ٢٥- نقل الزبيدي نصه هذا، تاج العروس، مادة (بضع) ج ٥ ص ٢٧٨. وعلى هذا لا يصح ما ذكره الدكتور أحمد خان في مقدمته للكتاب الانفعال للصغاني صفحة (٥) بأنه سمع حديث يثر بضاعة عند سماعه سنن أبي داود بمكة في سنة ٦٠٠هـ. هذا وإنه لم يذكر نهاب الصغاني إلى المدينة وعمله الدقيق فيها.
- ٢٦- العباب، مادة (ضیح) قال: والضیح أيضا المُقل إذا نضح، وهي لغة أهل اليمن قاطبة، قال الصغاني مؤلف هذا الكتاب أول ما طرق سمعي هذا اللفظ سنة ست وستمئة بمدينة "عدن آيين".
- ٢٧- وانظر ذكر تلامذته الآخرين في مقدمته الشوارد في اللغة للصغاني، بقلم عدنان الدوري، ص ٣٦-٤٠.

- ٢٨- ياقوت، معجم الأدياء، ٢١٨/٣.
- ٢٩- العباب، مادة (سيف) محلل حرف الفاء، ص ٢٩٨.
- ٣٠- العباب، مادة (زيد) وصرح بأن دابة الزباد أو سنور الزباد قد حمل إليه في قفص من حديد وهو بمقدشوه (كذا) في شهر سنة ١٠٩٠هـ "والتكملة والذيل والصلة" نفس المادة.
- ٣١- ياقوت، معجم الأدياء، ٢١٨/٣، وذكره باسم "الصغاني النحوي".
- ٣٢- العباب، مادة (قرط) نقله غندان الثوري في مقدمته للشوارد في اللغة ص ٢٥، هامش رقم (٦٢٠)، وتاج العروس، نفس المادة، ٢٠٤/٥، وعلى هذا لا يصح ما قاله الزبيدي نفسه في مادة (صغن) أنه دخل بغداد سنة ٥٩٥هـ وكذلك قول الدكتور سامي مكّي العاني أنه قدم إلى بغداد سنة ٥٩٥هـ ودخلها ثانية في سنة ٦١٥هـ (انظر مقدمته، ص ٥ لكتاب "در الصحابة في بيان مواضع وفيات الصحابة" للصغاني).
- ٣٣- العباب، مادة (عرف) صفحة ٤٢٣ من المطبوع.
- ٣٤- وهي: كتاب التصريف، ومناسك الحج، والفرائض، وتكملة العزيري.
- ٣٥- العباب، مادة (قنج) فيذكر مدينة "قنج" الهندية، وكذلك، التكملة والذيل والصلة، نفس المادة ج ١ ص ٤٨٢، وذكر فيهما الخليفة العباسي والسلطان ايلتمش وفتح لمدينة قنج، وتذكر هذه السفارة معظم المصادر عنه، مثل اللعنيطي والنهبي، سير أعلام النبلاء ٢٢٣/٢٨٢، الصفدي، الوافي بالوفيات ١٢/٢٤١، الفاسي، العقد الثمين ٤/١٧٧، وغيرهم.
- ٣٦- وقد ذكر الدكتور أحمد خان أنه عاد إلى بغداد في سنة ٢١٨، وعاد إلى الهند توا "مقدمة الانفعال صفحة ك".
- ٣٧- ذكر حارك، وصحر، وعبادان في العباب مادة (حرك) (صحر) والتصير في مادة (قصر) في التكملة والذيل والصلة ٦٩/٣.
- ٣٨- طبقات ناصري لمنهاج الدين الجوزجاني، بتحقيق عبدالحق حبيبي (بالفارسية) ١/٤٤٧ طبعة كابل.
- ٣٩- المصدر نفسه، والمكان نفسه ولم يذكر الجوزجاني اسم الصغاني بهذه المناسبة مع ذكره تاريخ وصول السفارة إلى ناكور ودهلي بدقة، والتي لم ترد

في المصادر العربية، وكان الجوزجاني قد لحن بخدمة ايلتمش في نفس سنة ٦٢٥هـ، بعد انتصار على حاكم السند. وما جاء في نزهة الخواطر لعبدالحسي الحسني (١/١٠٥)، أنه أرسل سفيرا إلى السلطانة رضية فغير صحيح.

٤٠- سيد هاشمي فريدابادي مآثر لاهور (باللغة الأردية) ص ٢٩٩-٣٠٠ ومعنى البيتين: قد أتوا يبشرون من العالم الآخر إلى عالمنا، وهي التأييد والثناء من الخليفة للسلطان، والخليفة هو ناصر الإسلام المستنصر الذي وضع طوق طاعته من قبل السماء في أعناق أهل الأرض.

٤١- الدمياطي، المصدر السابق (ورقة ١٨١ ظ)، الفاسي، المصدر السابق الذكر ٤/١٧٧، نزهة الخواطر ١/١٠٥، الذكور أحمد خان، مقدمته الطويلة لكتاب الانفعال للصفاني صفحة (ل) وكذلك مقدمته لنقعة الصديان للصفاني، ص ٦، وجعل فيها إقامته في الهند عشرين سنة من سنة ٦١٦ إلى ٦٣٧هـ، وهو خطأ محض، عدنان الدوري، مقدمته للشوارد في اللغة للصفاني، ص ٣٠.

٤٢- تاريخ ثغر عدن لابن أبي مخرمة ٢/٩٧، نقلا عن مقدمة الشوارد في اللغة للصفاني بقلم الدوري ص/ ٣١.

٤٣- المصدر نفسه في الموضوع نفسه.

٤٤- العباب، مادة (كدر) نقلا عن مقدمة عدنان الدوري للشوارد في اللغة ص/ ٣٢، هامش، رقم ٩٨.

٤٥- تاج العروس، مادة (دكنكص)، ونقل قوله من العباب: "إني شرقت وغربت في الهند والسند نيفا وأربعين سنة" ٤١/٣٩٥.

٤٦- وهو أشهر وأقدم كتاب دون فيه مريد الشيخ نظام الدين البدائوني أقواله وذكره حاجي خليفة ٢/١٣٠٠.

٤٧- فوائد الفوائد، الترجمة الأردية ص ٢٢٦.

٤٨- وأخذ بعض الباحثين المعاصرين بهذا القول دون تحقيق، منهم الدكتور خليل نظامي في كتابه تاريخ مشائخ حمتت (بالأردية) ص ١٤٣، وأيوب قادري في تعليقه على ترجمة الصفاني في تذكرة علماء الهند ص ١٦٢.

٤٩- وهو كتاب صغير، محذوف الأسماء، انظر كشف الظنون، ٢/١٧٠٥.

- ٥٠- سرور الصدور، ص ٦٤٠ (بالفارسية) وهو مخطوط، والنسخة الوحيدة منه في باكستان محفوظة في مكتبة بيت الحكمة، بجامعة همدرد في كراتشي في مجموعة الجمعية التاريخية الباكستانية. وهذا الكتاب فيه ذكر مجالس الصوفي الشهير حميد الدين السوالي الناكوري من مريدي أعظم الصوفية في الهند الشيخ معين الدين الفجزي الأحميري، والقاضي حميد الدين الناكوري والقاضي كمال الدين من كبار علماء وصوفية الهند في القرن السابع الهجري، ومعه تكلمته نور البوادر لفريد الدين الناكوري. والصوفي حميد الدين والقاضي حميد الدين شخصا من مختلفان معاصران.
- ٥١- حالوره مدينة قديمة في منطقة راجيوتان أو راجستان (حاليا) في غرب وسط الهند، وكجرات: منطقة معروفة في غرب جنوب الهند ناحية البحر، ولم يكن فتحهما قد تم بعد.
- ٥٢- سرور الصدور، ص ٦٤١.
- ٥٣- الدمياطي، المصدر السابق، ورقة ١٨٢ ب.
- ٥٤- الذهبي، سير أعلام النبلاء، ٢٨٣/٢٣.
- ٥٥- الدكتور محمد إسحاق، إسهام الهند والباكستان في علم الحديث (الترجمة الأردنية من الانجليزية، ص ٩٦).
- ٥٦- ومن هؤلاء الصوفي الشهير الشيخ نظام الدين البدائوني المعروف بنظام الدين أولياء، انظر المرجع السابق في الموضوع نفسه.
- ٥٧- عدد مؤلفاته في إحصاء الدكتور أحمد حنان في مقدمة الانفعال للصفغاني (صفحة ف - خ) ٤٧، مؤلفا، وأوصله الدكتور عدنان الدوري في مقدمة الشوارد في اللغة إلى خمسين مؤلفا، ولكن في كلا الفهرسين منهما ليس له مثل خلق الإنسان وعدد كتب اللغة عند الأول ٢٢. ولكن إذا حذفنا منه كتاب خلق الإنسان وكتاب نقعة الصليان الذي ثبت أنه في الحديث فيبقى عشرون كتابا، وكذلك بالنسبة لفهرس الدوري. وفي فهرسيهما اختلاف كبير من حيث أسماء الكتب وعددها. ولقد اعدنا هذا الفهرس بعد المقارنة والرجوع إلى المصادر.

- ٥٨- هكذا ورد اسمه في معجم الشيوخ للديماطي، (ترجمة الصفاني) وكان
الديماطي يملكه. مخطوط تونس المذكور سابقا. ولم يذكره الدكتور
أحمد خان في فهرس كتبه في مقدمة كتاب الانفعال للصفاني، كذلك لم
يذكره الدكتور الدوري في فهرسه الشامل في مقدمة الشوارد في اللغة
للصفاني:
- ٥٩- ذكره الصفندي، الوافي بالوفيات، ٢٤١/١٢، والفاصي، العقد الثمين
١٧٧/٤، والجواهر المضئية للقرشي ٢٠٢/١، والطبعة الجديدة بتحقيق
عبدالفتاح الحلو ٨٣/٢. وذكره عدنان الدوري في المصدر الأنف الذكر ص/
٥٩، ولكن لم يذكره الديماطي، ولا عبد الباقي بن عبدالمجيد اليماني (المتوفي
سنة ١٧٤٣هـ) في كتابه: إشارة التعمين وتراجم النحاة واللغويين بل ذكر كتابه
فعلان على وزن شتان، فقط. ونعتقد انهما ليسا كتابان بل كتاب واحد،
والصواب ما عند الديماطي.
- ٦٠- لم يذكر مكان النشر، وإنما أشار إليه في مقدمة الكتاب خلق الإنسان لأبي
محمد الحسن بن أحمد بن عبدالرحمن المطبوع سنة ١٩٨٦م بالكويت.
وكان قد ذكر سابقا هذا الكتاب من مؤلفات الصفاني.
- ٦١- أوظاني الأول، جمع وطن، والثاني فعل ماض من أوظأ.
- ٦٢- أتساني الأولى من النسيان، والثاني من فعل الإنساء بمعنى آخر، وهكذا
الكلمات الأخرى.
- ٦٣- انظر القصيدة بأكملها في مقدمة الدكتور عدنان الدوري للشوارد في اللغة
للصفاني ص ٤٥-٤٧ نقلا عن تاريخ ثغر عدن.
- ٦٤- معجم الأدباء، ٢١٨/٣.
- ٦٥- بغية الوعاة للسيوطي، ٥٢٠/١، وانظر هناك بقية الأبيات. المترج: المغلق،
والثاني من الرجاء.
- ٦٦- ترجمة الصفاني في معجم الشيوخ للديماطي، مخطوطة تونس المذكورة
سابقا.
- ٦٧- المصدر نفسه.

- ٦٨- كذا في معجم الشيوخ، و "نخط" في القاموس واللسان والتكملة كخط.
ولا معنى له هنا، ولعل الكلمة "نخضة".
- ٦٩- جذ: قطع، والعلي من أسماء الله الحسنى، ورسن: الجبل، والمقصوعة أوردها
الأمياضي في معجم الشيوخ. وانشده الصغاني ببغداد، حسب كلامه.
- ٧٠- في تاج العروس للزبيدي ٢٥٩/٩ الحريم الظاهري، وكذا في سبحة المرجان
(طبعة محققة حديثة) ونزهة الخواطر ١/١٠٥، وهو خطأ، والحريم الظاهري،
محلّة معروفة في بغداد كما في معجم البلدان لباقوت.

